الفصل الثاني والثلاثون

السيرة النبوية موضع إشادة المستشرقين المنصفين

إن الإشارة إلى شهادات منصفة لعدد من أعلام المستشرقين أو أعلام غير مسلمين، بعظمة النبي محمد ﷺ ورسالته، لم تلجئنا إليها الحاجة أو الضرورة، ولكن لكونها شهادة من أناس ينتمون إلى ملل مخالفة للإسلام ونبي الإسلام، وتعطي بعدًا يتمثل في أن ذلك المستشرق أو هذا لو لم ير الحقيقة سافرة يستحيل عليه وأمثاله طمسها، لذا فلا يجد بدًا من إبدائها ولو مكرها، على الرغم من أن كتب بعضهم تطفح بالعديد من الدس الصليبي عمدًا، أو بمعلومات غير صحيحة جهلًا أو بسوء فهم أو اغترار بآراء آخرين لهم أهداف وأغراض لا تمت للحقيقة بصلة.

لقد تركز معظم ما اقتبسناه من كتابات هؤلاء الأعلام من غير المسلمين أشادوا بالنبي محمد ﷺ من حيث خُلقه العظيم الذي أشاد به الله ﷻ في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤]، وما دعا إليه من هذه الأخلاق العظيمة وطبقه في حياته من القيم الحضارية، التي قادت بعضهم إلى الاعتراف بسبق وأصالة الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان على غيره من المواثيق والإعلانات العالمية قديمًا وحديثًا، بل قادت بعضهم إلى اعتناق الإسلام والدعوة إليه بحماس يلفت الأنظار، وهي قيم العقلانية في العقيدة والفكر، والقيم الإنسانية التي على رأسها قيمة الرحمة ومعانيها مثل: الشفقة، والعطف، واللطف، والفضل، والتسامح، واللين، والغفران، والعفو، والقيم الأخرى الكثيرة مثل: العدل، والمساواة، والتوازن، والحقانية (حقوق الإنسان)، والمرونة، ونبذ القومية، والعصبية، والعنصرية، والقبلية، والظلم، والفساد الخلقي، والفرقة، والتكبر، والغلو،

والجفاء، وحقوق المرأة، والطفل، والضعفاء، مثل المسنين والمعوقين، والمرضى، وغير المسلمين، والجيران، والأرحام، وكل الكائنات ذات الكبد الرطب، وأسرى الحرب.

وأشاد بخصائص الإسلام التي مصدرها القرآن الكريم الذي هو مصدر أخلاق النبي ﷺ، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عندما سئلت عن خلقه: «**كان خلقه القرآن**». وتصدرت قيمة الرحمة كل القيم، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الله ﷻ بعثه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال ﷺ عن نفسه: «**أنا الرحمة المهداة**». والدليل على ذلك: تكرار مفردة الرحمة ومترادفاتها ومعانيها (٩٧٠) مرة في القرآن الكريم.

أما تكرار هذه القيم في السنة والسيرة النبوية، فهي بلا شك أكبر من هذا العدد بكثير، وسوف تتضح لنا هذه الحقيقة من أقوالهم.

أقوال الفئة الأولى الذين أسلموا، منهم:

١- أصحمة النجاشي:

الملك الحبشي الذي أسلم في زمان الرسول ﷺ، بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، وكان من أسباب إسلامه ما علمه من المسلمين عن صدق الرسول ﷺ، وأن ما جاء به لا يختلف عما جاء به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

٢- اللورد هدلي (البريطاني):

الذي تسمى بـ: (الحاج اللورد هدلي الفاروق) (مهندس من أغنى البريطانيين وأعلى حسبًا).

يقف مندهشًا عند معاملة النبي ﷺ للأسرى من المشركين في معركة بدر الكبرى، ملاحظًا فيها ذروة الأخلاق السمحة والمعاملة الطيبة الكريمة، ثم يتساءل: (أفلا يدل هذا على أن محمدًا لم يكن متصفًا بالقسوة ولا متعطشًا للدماء كما يقول خصومه؟ بل كان دائمًا يعمل حقن الدماء قدر المستطاع).

٣- محمد أسد (النمساوي):

[سياسي وصحفي ومؤلف]، قضى خمسة أعوام بالحجاز ونجد، وأغلبها بالمدينة المنورة، كان اسمه ليوبولدفايس، له كتابان هامان هما: (الإسلام على مفترق الطرق)، و(الطريق إلى مكة).

وأصدر جريدة شهرية أسمها (عرفات)، يترجم فيها معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية: يقول عن محمد ﷺ: (... لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير المملوء رحمة، وخيرًا، وحنانًا، وحكمة، وحججً، ونهى، وأفكارًا غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه...) ويقول أيضًا عن محمد ﷺ: (ولم يكن متكبرًا).

٤- لين بول:

[مستشرق بريطاني]، له (رسالة في تاريخ العرب)، قال فيها: (إن محمدًا كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة، كاللطف، والشجاعة، ومكارم الأخلاق، فقد كان رسولًا من الله...) إلى أن قال: (إن ما أتصف به محمد من الصبر، واحتمال المكاره، والعفو عند المقدرة، لبرهان لنا واضح على أنه كان صادقًا، إذ يقول كما قال الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، فمحمد ذو يقين راسخ وقوة عزيمة هائلة).

يذكر فهمي عبدالوهاب في كتابه (محمد رسول الله في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتّابه): أن لين بول قد اعتنق الإسلام عام (١٩١٤م)، ويبدو أن مما دعاه لاعتناق الإسلام هو ما ذكرناه من أقواله.

٥- السير جلال الدين لودربرنتون (البريطاني):

[من رجال الدولة وبارون] يقول: إنه درس سيرة الرسول ﷺ فأدرك أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى حديثه وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله، وأنه ناقش العقائد

المسيحية السائدة واحدة تلو الأخرى، فانتهى إلى تعظيم الإسلام، واقتناعه بـه، وإيمانـه بأنه دين الحق، والصدق، واليسر، والتسامح، دين الإخلاص في الحب والأخوّة.

٦- يوسف إسلام -سابقًا كان استينفنس- (البريطاني):

[المغني الشهير]. من أسباب اعتناقـه الإسـلام: عظمـة سـيرة الرسـول ﷺ في كافـة جوانب الحياة [الحلبي (ص١١٥)].

٧- إبراهيم خليل (المصري):

[كان قسيسًا ومنصرًا قبطيًا، درس اللاهوت في جامعة برينستون الأمريكية، له كتاب (بشـارات محمد في التوراة والإنجيل)].

من أسباب اعتناقه الإسلام:

أ- عظمة السيرة النبوية في كافة المجالات.

ب- سعة المغفـرة والرحمـة والعفـو في السـيرة النبويـة [العشـي، ص ١٠٧، الحلبـي، ص١٠٥، ١١١].

٨- مريم جميلة:

أمريكية يهودية، أسلمت، وكان من أسباب إسلامها صفة الرحمة للعالمين في كتـاب الله ﷻ وسيرة محمد ﷺ وألفت كتـاب بعنـوان: (Islam Versus AHl -Elkitab، past and present)، ومعناه: موقف الإسلام من أهل الكتاب قديمًا وحديثًا.

ولها مكاتبات مع الشيخ أبي الأعـلى المـورودي، فأسـلمت عـلى يديـه، وتزوجـت باكستانيًا مسلمًا.

الفئة الثانية: الذين أشادوا برسول الله ورسالته ولم يسلموا

٩- آرلونوف:

[باحث وكاتب روسي، كتب عن محمد ﷺ في مجلة الثقافة الروسية، المجلد السابع، العدد التاسع]. أشاد بدور النبي ﷺ في توحيد العرب تحت مدنية وحضارة راقية.

١٠- كارلين آرمسترونق:

كاتبة بريطانية وأستاذة في جامعة Baeck للدراسات اليهودية، مؤلفة أفضل كتاب بعنوان: (The Battle for God)، الذي ترجم إلى أكثر من ثلاثين لغة، ولها كتاب عن الإسلام، وكتاب عن بوذا، وكتاب عن سيرة الرسول محمد ﷺ.

قالت: إن محمدًا ﷺ جاء بتوحيد سليم وبسيط، وهو عندها ما فشلت فيه الديانات السابقة، واستأصل جذور العنف عند العرب، وجعلهم مستعدين للانطلاق في مرحلة جديدة من تاريخهم، وإنه كان محبذًا للحوار والصلح مع أعدائه، ولذا قالت متسائلة عن أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر): (كيف يمكن أن نجد علاقة بين ما جرى ومحمد؟).

١١- السير توماس آرنولد:

المستشرق البريطاني المشهور، صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام. أشاد بروح الأخوّة في الإسلام وتميز نظام الإسلام السياسي، وسماحة الإسلام، وقال: (إن محمدًا يعد نموذجًا للداعية الإسلامي، ومنبع الرحمة) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ١٧٥، ١٧٩)].

١٢- أندرو وليامز:

المستشرق الأمريكي، قال في كتابه (أمريكي في البلاد العربية): (إن محمدًا ترك رسالة ضخمة لنشر الدين وإقامة الحضارة، ودعا إلى أخوّة جديدة بين المسلمين، تقوم على المساواة بينهم) [نفسه، (ص١٨٣)].

١٣- واشنجطون أيرفينج:

الأمريكي والقصصي وكاتب السير المشهور، أبو الأدب الأمريكي، ومخترع الأقصوصة، من كتبه (محمد وخلفاؤه)، الذي فيه: (والرسول ﷺ كان عادلًا يحب العدل...).

وفي مؤلفه (حياة محمد)، أشاد بروح العفو والرحمة والشفقة التي أبداها محمد تجاه مواطنيه عند فتح مكة، وتوج بها انتصاره [حياة محمد ﷺ (٧٢)].

وفي كتابه (محمد وخلفاؤه)، أشاد بقدراته العقلية، وحبه العدل، ونفى الأهداف الدنيوية في دعوته ودأبه لإيصال الناس إلى التوحيد الصافي والصحيح، وأنه لم يسع للحرب من أجل الحرب وسفك الدماء، بل فرض عليه الواقع الحرب، فكان لابد من مواجهة القوة بالقوة، فهي من صنع الظروف لا التخطيط المسبق، وهاجم من أساءوا فهم الرسول محمد ﷺ، ويقول: (وأكثر من ذلك وجه هذه القوى التي كانت تفتك ببعضها البعض نحو الأخوّة الإسلامية في إيمان واحد، وجعلها أهلًا لأن تحمل رسالة سلام إلى أمم الأرض، لا لهدف حربي توسعي يهدف إلى التوسع والسيطرة العمياء، بل لهدف جهادي يهدف إلى توعية شعوب الأرض بالمعنى المطلق لله الواحد، ليرتفع بالفكر الإنساني إلى مصاف (الوعي) الجدير بإنسانية الإنسان، وهذا ما يميز الرسول ﷺ، ولم يكن مجرد عبقرية حربية كغيره من الفاتحين) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ١٨٥، ١٩٠)].

١٤- ريدي بارت:

العالم الألماني الكبير، والأستاذ الجامعي الكثير التصانيف، التي منها: ترجمته للقرآن الكريم، وكتاب في سيرة النبي ﷺ، له رسالة (محمد والقرآن)، قصد بها تفهيم رسالة محمد ﷺ، وكان شديد التعاطف مع الإسلام، وهذا واضح في قوله: (كان من بين ممثلي

حركة التنوير من رأوا في النبي العربي ﷺ أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا ورسـولًا للفضـيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبعي الفطري، ومبشرًا به) [نفسه، ص ١٩٢].

١٥- بوسورت سميث:

عالم فيزيائي ومفكر إنجليزي كبير، من كتبه: (محمد والإسـلام)، و(حيـاة محمـد)، قال في كتاب (محمد والإسلام): (لا نستطيع أن نقول في حقه إلا إنه رجل عظيم بعقله، وعلمه، وأخلاقه، وبلاغته وتدينه).

وقال في كتاب (محمد والمحمديـة): (كانـت مهمـة محمـد إنسـانية، أن يرتقـي بالإنسـان ويعلمه ويحضره، فقد كان أكثر من مخلص صادق وأمين، كان محمد ﷺ إنسانًا حتى العظم).

١٦- مارسيل بوازار:

المفكر والقانوني الفرنسي المشهور، كان دبلوماسيًا، وخاصة لدى الأمم المتحدة، لـه أربعون كتابًا، يقول في كتابه (إنسانية الإسلام) [ص٤٦]: (وكما يظهر التاريخ الرسـول ﷺ قائدًا عظيمًا مِلء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قـوي الشـكيمة، لـه سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة، وتعطي كل ذي حق حقه... لابد أن محمدًا ﷺ الذي عرف كيف ينتزع رضا الجماهير به إنسان فوق مستوى البشـر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله)، ويقول: (لقد كان محمد نبيًا قبل أن يكون مصلحًا اجتماعيًا) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص١٨٥، ١٩٠)].

وقال: (وعلى الرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان محمد ﷺ يعفـو عنـد المقـدرة). [نفسه، (ص ٢٠١)- معدي، (ص ١١٤، ١١٥)].

يعد ما كتبه في إنسانية الإنسـان مـن الكتابـات العميقـة والمنصـفة للرسـول ﷺ في جانب الأخلاق الإنسانية.

١٧- الكولونيل ر.ف بودلي (الإنجليزي): من كتبه (حياة محمد).

أنحى في كتابه المذكور بالأئمة على المتعصبين من الكتاب وما راحوا يرجونه من أباطيل عن الإسلام منذ الحروب الصليبية، وعزا ذلك إلى أنهم لم يفهموا محمدًا وشريعته، وأشاد بوضوح سيرة محمد ﷺ في كتابه المذكور، قائلًا: (إننا لا نجد بين أيدينا ما دونه معاصرو موسى أو كونفوشيوس أو بوذا، ولا نعرف شيئًا عن الثلاثين سنة التي مهدت الطريق للسنوات الثلاثة من حياة عيسى، التي بلغ فيها أوجه، ولكننا نجد أن قصة حياة محمد ودعوته موجودة بين أيدينا وواضحة كل الوضوح....).

وفي شأن فرية إصابة محمد ﷺ بالصرع يذكر ويقول: (وهل يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها محمد ﷺ قبل مماته بأسبوع... وقد ذخر عقله بأفكار لامعة، وما كان الله ليجعل من أحد نبيًا مصابًا بالصرع، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو بلا شك محمد ﷺ). وأشاد بقيمة المساواة التي جاء بها محمد ﷺ [ولنا دراسة نقدية لكتابه المذكور، انظر النت].

١٨- واصف بطرس غالي:

[مفكر مصري نصراني]. عينه سعد زغلول وزيرًا لخارجية مصر في حكومته، ومع هذا عارض سعد زغلول في مسألة خلع الحجاب، عندما بدأ سعد في الخلع بزوجته صفية زغلول، ووقف مع معارضه علي الشمسي، ومما جاء على لسانه: (لقد عمل محمد جهد طاقته لتحرير النساء، وكذلك بالقدوة الحسنة التي استنها).

ويعد من أكبر أنصار المرأة، إذ كان عظيم الاحترام والتكريم للنساء [انظر: مجلة المنار ومجلة البيان، والإنترنت].

وقال: إن المعاصرين يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة التي حققها محمد أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا

إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٣٨)].

ومن الأعمال الباهرة التي أشاد بها: وضع الرسول ﷺ أساس الحضارة العربية الإسلامية والأمة العربية والإسلامية.

١٩- الكونت هنري دي بولا نفيلييه: المؤرخ الفرنسي.

ألف العديد من الكتب، منها: (حياة محمد).

كان أول مؤرخ أوروبي ينصف النبي محمد ﷺ في هذا الكتاب، وأبدى فيه إعجابه به وبالإسلام ومبادئه، خاصة عقيدة التوحيد الصافية، وأنكر على من أتهم محمدًا بالنقائص [نفسه، ص ٢٤٠-٢٤١].

٢٠- إميل درمنغهم:

من كبار رجال الفكر الفرنسيين، من مؤلفاته العديدة: (حياة محمد)، عَرَّض بالأب لامنس الفرنسي، قائلًا: (إنه من أشدهم تعصبًا، وقد ذهبت بهجة كثير من تحقيقاته لشدة تحامله على الإسلام ونبيه).

أشاد بخلق النبي ﷺ في السلم والحرب، فقال (.... كان حكيمًا رقيق القلب، عظيم الإنسانية)، وأشاد بالقيم الحضارية في معاملة المدنيين أثناء الحرب، وفي النفس والأموال: الأجراء والمسنين والأطفال والنساء والرهبان، وعدم هدم المنازل وإتلاف الزرع والضرع، إلا لضرورة حربية قاهرة [انظر كتابه المذكور، ترجمة زعيتر، (ط٢/ ١٩٨٨م)، (ص ٣٥٠)].

وأشاد بعدم اغتراره بالمال والجاه، وتفضيله إسلام رجل واحد على أعظم الغنائم [نفسه، ص٣٦٠، معدي، ص١٢١].

٢١- دوزي:

المستشرق الهولندي الكبير، صاحب المؤلفات الكثيرة، التي منها: (تاريخ المسلمين في أسبانيا)، قال فيه: (... لقد جاء محمد بتعاليم رفعت مستوى البشر إلى عالم الكمال) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، ص ٢٥٢].

٢٢- جارسان دي تاسي:

أحد أبرز المستعربين الفرنسيين، ومن أقواله المنصفة: (محمد نبي حقيقي بكل معنى الكلمة، ولا يمكننا إنكار أنه هو المرشد القائد إلى طريق النجاة) [نفسه، ص٢٥٣].

٢٣- فردريك ديتريسي:

المستشرق الألماني، صاحب الإنتاج الغزير.

قال في كتابه: (مقولات أرسطو طاليس): (إن علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوروبا في القرن العاشر الميلادي مقتبسة من قرآن محمد، بل أن أوروبا مدينة للإسلام الذي جاء به محمد) [نفسه، ص٢٥٤].

وقال: إننا لو أنصفنا الإسلام لاتبعنا ما جاء به من تعاليم وأحكام، لأن كثيرًا منها ليس في غيره... ويظهر من حياة محمد أن دعوته لهذا الدين لم تكن إلا عن سبب سماوي، إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادى به، وإن من اتهم محمدًا بالكذب فليتهم نفسه بالوهن والبلادة، وعدم الوقوف على ما صدع به من حقائق. [نفسه، ص ٢٤٥].

٢٤- جون دي قنبرت:

المستشرق السويسري: قال في كتابه (محمد والإسلام): (كلما ازداد الباحث تنقيبًا في الحقائق التاريخية الموثقة المصادر فيما يخص الشمائل المحمدية ازداد احتقارًا لأعداء محمد، مثل ماركس و....).

٢٥- رينيهديكارت:

عالم الرياضيات والفيزياء، والفيلسوف الفرنسي المشهور، قال في كتابه الذي أشتهر به (مقالة الطريق): (ولو أنصفنا المسلمين لكنا معهم جنبًا إلى جنب، لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان، صاحب شريعتهم محمد لم يأت التاريخ برجل هو أعظم خلقًا منه).

٢٦ - الكسندر ديما الأب:

[الروائي والكاتب المسرحي الفرنسي الكبير، أحد أغزر الفرنسيين إنتاجًا]، قال في (الفرسان الثلاثة): (كان محمد معجزة الشرق، لما في دينه من معالم، وفي أخلاقه من سمو، وفي صفاته من محامد)، ويقول عن محمد ﷺ: (إنه المعلم الرحيم). [نفسه، ص٢٦٤].

٢٧- ول ديورانت:

الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي المشهور، له سلسلة مؤلف (قصة الحضارة) مع زوجته آربيل وفي (٤٢) مجلدًا، ألفاه في (٥٠) عامًا!!

نفى تهمة الإصابة بالصرع عن النبي ﷺ، ووصفه بأنه كان من أعظم عظماء التاريخ، وموجه الأمة العربية، وكبح جماعة التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلادة القديم، دينًا سهلًا واضحًا وقويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة والقومية. [نفسه، (ص٢٦٦-٢٦٧)، ومصدرهما: (قصة الحضارة) (١٣/ ٢١/ ٢٢/ ٤٧)].

وقال: (كان محمد الحاكم المتسامح والحكيم المشرع) [مهدي، (ص ١٢٩)، ومصدره: (تراث الإسلام)، تصنيف شاخت وبروزت (١/ ٦٧/ ٦٨)].

٢٨- ريتين:

المستشرق الأسباني الكبير، قال في كتابه: (تاريخ سوريا ولبنان): (دين محمد قد أكد إذًا من الساعة الأولى لظهوره، وفي حياة النبي أنه عام، فإذًا هو صالح لكل جنس، وكان صالحًا بالضرورة لكل عقل، ولكل درجة من درجات الحرارة).

ثم قال: (إليك يا محمد وأنا الخادم الحقير أقدم إجلالي بخضوع وتكريم، إليك أطأطئ رأسي، إنك لنبي حق من الله، قوتك العظيمة كانت مستمدة من عالم الغيب الأزلي الأبدي) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٧٦)].

٢٩- جاك ريسلر:

المستشرق الفرنسي المعاصر، الحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية على كتابه: (الحضارة العربية)، لكونه دراسة أساسية وأصيلة لمعرفة الإسلام، يقول في كتابه المذكور: (لزامًا على محمد أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي، عندما أنعم عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية الأخرى، وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل، أعظم أمل لحياة إنسانية، فيجب أن نعترف أن محمدًا يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان) [نفسه، (ص ٢٧٦)، الحضارة العربية، (ص ٣٢)].

ويقول في الكتاب ذاته عن النبي ﷺ: (إنه يسعى على الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة..) [الحضارة العربية، (ص ٥١)؛ نقلًا عن محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٧٦)].

٣٠- آرنست رينان:

مستشرق ومفكر فرنسي كبير، تعددت مؤلفاته، التي منها: (مستقبل العلم)، أحد كبريات كتب القرن التاسع عشر.

هاجم في كتاباته الأخيرة موقف (فولتير) من الرسول ﷺ بقوله: (دلتني تجربتي العلمية والتاريخية أنه لا صحة لما أريد إلصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء، مصدره

بعض العادات القومية التي أراد بعض المحتالين كفولتير أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفي سقام ذهنيتهم الوقحة، وتعصبهم الذميم، كقوله: إنه يميل إلى التسيد والسيطرة، مع أن محمدًا كما أثبتت الوقائع التاريخية وشهادات أكبر علماء التاريخ كان على العكس من ذلك، بريئًا من روح الكبرياء، متواضعًا، صادقًا، أمينًا، لا يحمل المقت لأحد، وكانت طباعه نبيلة، وقلبه طاهر، رقيق الشعور) [الإسلام والثقافة العربية: أنور الجندي، (ص ٢٣٧)]. قلت: انظر العَلَمَ رقم (٣٥) إذ لفولتير شهادة منصفة أيضًا.

٣١- برتملي سانت هيلر:

مستشرق ألماني: قال في كتابه: (المستشرقون وعقائدهم): (... فكان النبي محمدًا داعيًا إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين من أجمل الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما: العدالة والرحمة) [نفسه، (ص ٢٣٤)؛ محمد النبي العربي: عمر أبو النصر، (ص ٢١)].

وقال في كتابه (مع الشرق): (لقد كان محمد أذكى العرب في عهده، وأكثرهم تقوى وتدينًا، وأرحبهم صدرًا، وأرأفهم بأعدائه وخصوم دينه، وإن دينه الذي دعا إلى اعتقاده كان جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته) [الجندي - نفسه، (ص ٢٣٤)؛ أبو النصر، (ص ٢١)].

٣٢- لوثروبستودارد:

كاتب اجتماعي، ومؤرخ أمريكي؛ من أهم كتبه: (العالم الإسلامي)، الذي يشيد فيه بدور محمد ﷺ في توحيد العرب، ونقلهم من العداوة إلى الأخوة، وفي رأسه نور للناس وهدى للعالمين. [نقلًا عن محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٨٦- ٢٨٧)].

ويقول أيضًا: (إن البشرية تفتخر بانتساب رجل كبير كمحمد إليها، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل أربعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون، نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة) [نفسه، ص ٢٨٧].

٣٣- سينرستن:

مستشرق سويدي، أستاذ اللغات السامية، أسهم في دائرة المعارف الإسلامية، له عدة مؤلفات، منها: (القرآن الإنجيل المحمدي)، و: (تاريخ حياة محمد)، وقال في هذا الأخير: (إننا لن ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا [ص ١٨]. فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية... شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ) [نقلًا عن: محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٩٢)].

٣٤- برنارد شو:

مستشرق إنجليزي، فيلسوف وروائي ساخر، وكاتب مسرحي يعد الأعظم منذ شكسبير. قال: (إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي العربي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين علا هضم جميع المدنيات، خالدًا إلى الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي، قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة -يعني أوروبا-) [نفسه، (ص ٢٩٦)].

ويقول: (وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والتعاون والعدالة، في ظل شريعة متمدينة محكمة، لم تنس أمرًا من أمور الدنيا... وقد ألفت كتابًا عن محمد، ولكنه صودر لخروجه عن تقاليد الإنجليز) [نفسه، ص ٢٩٦].

ويقول: (... ولذلك يمكنني أن أأكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلًا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في

العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة).

ويقول: (لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى الإسلام بطابع أسود حالك، إما جهلًا وإما تعصبًا... فعندهم أن محمدًا كان عدوًا للمسيح، ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب، وفي رأيي أنه بعيد جدًا أن يكون عدوًا للمسيح، إنما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية) [نفسه، (ص ٢٩٦)].

ويقول: (كان محمد روح الرحمة...) [كتابه: عظمة الإسلام، (م١)].

ويقول: (إنه إذا سنحت الفرصة لديانة بالسيطرة على إنجلترا أو حتى أوروبا في السنوات المائة القادمة، فقد يكون الإسلام) [محمد ﷺ عند علماء الغرب (ص ٣٧٦)].

وقال: (... وكان الأولى أن يوصف بأنه مخلص الإنسانية) [نقلًا عن علي الجرجاوي: حكمة التشريع (١/ ٦٦)].

٣٥- آن ماري شيمل:

كبيرة علماء الإسلام الألمان.

مما قالته عن محمد ﷺ: (لقد كان محمد إنسانًا بما فيه الكفاية ليعرف نقاط الضعف في البشر بمن فيهم النساء...) [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٢٩٦)].

٣٦- فرنسوا فولتير:

الفيلسوف والروائي والكاتب الفرنسي المشهور، دافع على لسان الكون تبولان دي فيلييه عن الإسلام فقال: (إن أقل ما يقال عن محمد: أنه جاء بكتاب، وجاهد، أما عيسى فلم يترك شيئًا مكتوبًا، ولم يدافع عن نفسه، ولقد امتلك محمد شجاعة

الإسكندر وحكمة توما، أما عيسى فقد نزف دمًا بمجرد أن أدانه قضاته، والإسلام لم يتغير قط، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم عشرين مرة).

وقال عن محمد ﷺ: (... لقد كان بالتأكيد رجلًا عظيمًا جدًا... وقام بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على وجه الأرض)، ويقول في كتابه (محمد ﷺ): (والواقع أن المزايا التي كان يتصف بها محمد تمحق الانتقاد محقًا ولا تترك مكانه إلا الإعجاب به والتقدير لشخصيته...) ويقول: (.... من بين كل المشرعين والفاتحين ليس منهم أحد سجلت سيرته بموثوقية وتفاصيل دقيقة من قبل معاصريه، كما هو الحال في سيرة محمد...) [نفسه، ص ٣٠٦]، [وانظر العَلَمَ رقم (٢٩) من هذا البحث].

٣٧- كوسان دي برسفال:

مستشرق فرنسي، وكاتب معروف، ومؤرخ مشهور.

قال في كتابه (تاريخ العرب)، عن محمد ﷺ: (ذلك الرجل الذي جاء إلى قومه بدين جديد بعد أن توفرت دواعي النبوة، وإن دينه خال من الشكوك والضلالات، وقد جاء بالمعجزات دليلًا على دعوته المباركة، ثم ارتحل إلى المدينة، وبعد فتح مكة عفا عن أعدائه فيها فآمنوا) [نفسه، (ص ٣٠٧- ٣٠٨)].

٣٨- توماس كارليل:

كاتب اسكتلندي، وفيلسوف ومؤرخ وعالم أخلاق.

قال في كتابه (محمد رسول الهدى والرحمة) [ص٤]: (.... ويزعم المتعصبون والملحدون أن محمدًا لم يكن يريد بدعوته إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وأيم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن الغفار والفلوات،

المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمةً وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمةً وحجىً وإربة ونهىً، أفكار غير دنيوية ونوايا خلاف طلب الجاه والسلطان...).

وقال في كتابه المذكور [ص ٧]: (من العار أن يصغي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب، وإن محمدًا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة أو خديعة مخادع؟! ولو أن الكذب والتضليل يروجان عنده هذا الرواج الكبير، لأصبحت الحياة سخفًا وعبثًا، وكان الأجدر بها أن لا توجد، هل رأيتم رجلًا كاذبًا يستطيع أن يخلق دينًا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة! إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتًا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتًا دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس!!

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدًا رجلًا كاذبًا متصنعًا متزرعًا بالحيل والوسائل لغاية أو طمع، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

وبعد أن ذكر تأثير الإسلام على العرب وفضله عليهم، قال: (وإني لأحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع... وهو رجل عظيم...) [نفسه، (ص ٣٠٨-٣١١)].

٣٩- البارون برناكار اديفو:

مستشرق فرنسي، ومؤلف مكثر، متعصب ضد الإسلام، أسهم في تحرير دائرة (المعارف الإسلامية). قال عن النبي ﷺ في كتابه (مفكرو الإسلام): (وكان حليمًا تقيًا،

حسن الأخلاق...)، وقال: (إن محمدًا كان هو النبي والملهم، لم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا التي كان عليها، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد بين أعضاء الكتلة الإسلامية، كان يطبق تطبيقًا عمليًا حتى على النبي نفسه) [نقلًا عن: هذا هو الإسلام، (ص ٨٧) نفسه، (ص ٣١١- ٣١٣)].

٤٠- بول كازانوفا:

أحد كبار علماء فرنسا، له كتابًا: (حضارة الشرق) و: (الإسلام بين الإنصاف والجحود). قال في الكتاب الأول [ص٢٣]: (يهمني أن أجهر بأني لا أسلم أصلًا بكل نظرية يفهم منها الريب بصدق محمد، إن سيرة النبي العربي من بدايتها إلى نهايتها تدل على أنه ثابت رصين أمين...).

ويقول: (... إن كل تاريخ النبي العربي يدل على أن خلقه جدي عملي محمود..) [نفسه، (ص ٣١٣-٣١٤)].

٤١- أوغستون كرستان:

رجل فكر إيطالي، قال في كتابه (الكياسة الاجتماعية): (وإنك لتجد في كل موضع من القرآن الذي جاء به محمد إلى العرب آيات تحث على فعل الخير، وأما هو فقد كان أمينًا وأعدل رجل، ولا يسعنا إلا أن نقدر له جهوده في سبيل دينه وعقيدته).

ثم يقول: (لقد جعل محمد الإخاء والمحبة ركنين للمجتمع الإسلامي، وهذا لعمري تقدم باهر إذا قارنا عهد الإسلام بعهد الجاهلية أيام كان أرباب الثروة والسيادة يزدرون بصلفهم المساكين ويسومونهم الخسف...) [نفسه، (ص٣١٧)].

٤٢- إيفلين كوبولد: شاعرة بريطانية.

قالت في كتابها (الأخلاق) [ص ٦٦]: (... وكان يعمل في سبيل الله والإنسانية)، وقالت في كتابها (البحث عن الله): (بعث -أي: محمد- هذه الأمة

بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات، فغلبت العالم وحكمت فيه آجالًا وآجالًا...).

وتقول فيه: (إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة، فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية).

٤٣- القس لوازون:

مستشرق فرنسي. قال عن محمد ﷺ في كتابه: (الشرق) [ص ٦١]: (... ومهما تحدثنا عنه فليس بالكثير في حقه، لأنه جاء إلى العالم بدين جمع فيه كل ما يصلح للحياة...) [نفسه، (ص ٣١٧- ٣١٨)].

وقال في إحدى محاضراته، [كما جاء في مجلة: (المقتطف)، المجلد الرابع، العدد السابع]: (وكان على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحسان، وكان على خلق عظيم، وشيم مرضية، شغوفًا على الأطفال، مطبوعًا على الإحسان، غير متمشدق في نفسه، ولا صلف في معاملته مع الناس...) [نفسه، (ص ٣١٩-٣٢٠)].

٤٤- غوستاف لوبون:

من أعظم فلاسفة فرنسا في القرن العشرين.

قال في كتابه: (الحياة)، عند حديثه عن العرب في الشرق [ص ٤٣]: (إن محمدًا على الرغم مما يشاع عنه على وجه عام، قد ظهر بمظهر الحلم الوافر ورحابة الصدر الفسيحة إزاء أهل الذمة، وحرر بلادًا واسعة من الروم والفرس، وترك أهلها في طليعة الأمم).

وقال في كتابه: (الدين والحياة) [ص ٦٧]: (.... وقد كان محمد ذا أخلاق عالية، وحكمة، ورقة قلب، ورأفة، ورحمة، وصدق، وأمانة... إذا ما قيست قيمة الرجال

بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله...) [نفسه، (ص ٣٢٠-٣٢٢)].

٤٥- فلور أندريه:

مستشرق ألماني، قال: (كان محمد رحيمًا بالضعفاء، بشوشًا، سهل المعاملة، طاهر القلب...) [انظر الشبكة العنكبوتية (النت)].

٤٦- جان ليك:

مستشرق أسباني. قال في كتابه: (العرب) [ص ٤٣]: (... حياة محمد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله ﷻ بألفاظ قليلة، بين بها سبب بعث النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧]).

ويقول: (... وقد برهن لنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة، كان محمد رحمة حقيقية لليتامى والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة وشوق لأصلي عليه وعلى أتباعه) [ما قبله، ص ٣٢٦].

٤٧- جول لابوم:

عالم فرنسي. قال عن محمد ﷺ في: (الفهرس) المترجم إلى اللغة العربية، الذي وضعه للقرآن الكريم [ص ٦٣]: (... وإذا بالعالم يتسع لأضواء هداه، فكأن بالعالم وقد خلق من جديد، وفتح عينيه على مبادئ عالية سامية) [نفسه، ص ٣٢٩].

٤٨- المركيز دي لابلاس:

من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين. رياضي وفيزيائي.

قال: (ولكن دين محمد وشريعته اجتماعيان لحياة البشر، فنحن نعترف لمحمد بأنه عظيم بدينه ومبدئه وعقليته، فلا محيص عن الأخذ بتعاليمه) [نفسه، ص ٣٢٩].

٤٩- الفونس دي لامارتين:

من أشهر الشعراء الفرنسيين. يقول في كتابه: (تاريخ الأتراك) [بالفرنسية، (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)] بعد أن ذكر دور محمد ﷺ في حركة التاريخ: (... هو ذا محمد، على كل المستويات، حيث تقاس العظمة الإنسانية، أي رجل هو الأكبر....) [نفسه، ص ٣٣١].

وبعد أن أشاد بجهاد محمد ﷺ وصبره وحميته في الدعوة التي جاء بها، قال: (كل هذا لأعظم دليل على أنه لم يكن يضمر خداعًا أو يعيش على باطل أو مين، بل كان وراءها عقيدة صادقة...) [من كتاب: السفر إلى الشرق، ص ٨٤].

وقال [ص ٤٧]: (إن محمدًا فوق البشر ودون الإله، فهو رسول بحكم العقل، ودلالات المعجزات تعضد ذلك، وإن اللغز الذي حله محمد في دعوته، فكشف فيها عن القيم الروحية، ثم قدمها لأمة العرب دينًا سماويًا، وسرعان ما اعتنقوه، وهو أعلى ما رسمه الخالق لبني البشر... أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، أدركت ما فيها من عظمة وخلود...). ويقول: (... أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ وساطة بين الخالق والمخلوق) [نفسه، (ص ٣٣٢)، وانظر كتابه: تاريخ الأتراك -بالفرنسية- (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)، باريس، (١٨٤٥م)].

٥٠- لايتنر:

باحث إنجليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، يقول: (بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى، أقول بأن ما علمه محمد

ﷺ ليس اقتباسًا، بل قد أوحي إليه به، ولا ريب في ذلك، طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم...) [من كتاب: دين الإسلام، (ص ٤-٥)، نقلًا عن نفسه، (ص ٣٣٦)]. ويستطرد قائلًا: (إن الديانة النصرانية التي ود محمد ﷺ إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح، تخالف التعاليم السرية التي أذاعها بولس، والأغلاط التي أدخلها عليها شيع النصارى....).

(.... ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام). [لايتنر: دين الإسلام، (ص ٢٥)، نقلًا عن: نفسه، (ص ٣٣٦)].

يقول عن تعدد أزواجه: (... فلا ريب أن لزواجه في مرحلة الكبر أسباب حقيقية غير التي يتمشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى؟ لا ريب أنها شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا...) [نفسه، ص ٣٣١].

ويقول: (... إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح احترامًا عظيمًا، وذلك باحترامهم لمحمد ﷺ، ولا ريب في أن المسيح المعترف برسالة محمد ﷺ وبالحق الذي جاء به، هو المسيح الصادق) [نفسه، (ص ٦)، نقلًا عن: محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٣٣٧)].

ويصف النبي ﷺ نفسه بأنه المتسامح الأكبر، وأن صفة التسامح كانت وما زالت إحدى المميزات والسمات الراقية للدين الإسلامي، ذكر هذا في كتابه: (أخلاق المسلمين وعاداتهم). وقال: (بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد ﷺ).

٥١- فريد فون بسمارك:

صحفي ألماني. يعمل رئيسًا لمجلس شورى الصحافة الألمانية.

قال في تقرير نشرته الأنباء العالمية في أعقاب نشر الصور المسيئة للرسول ﷺ عام (٢٠٠٧م): (إني أدعي أن حضرة محمد قدوة ممتازة، وليس بالإمكان إيجاد قدوة كمحمد ثانية).

٥٢- ماسنيون:

مستشرق فرنسي شهير. قال السيد سيمان الندوي، في كتابه (الرسالة المحمدية) [ص ٦٧]: (وقد قال لي يومًا، وأنا في فرنسا، مستشرق اسمه ماسنيون: يكفي لتعرف أوروبا محاسن الرسول ﷺ ومحامده، أن ينقل كتاب (الشفاء) للقاضي عياض إلى إحدى اللغات الأوروبية).

٥٣- وليام موير:

مستشرق ومنصر إنجليزي، من المتعصبين ضد الإسلام، جمع كتاباته في السيرة بعنوان (حياة محمد وتاريخ الإسلام)، هدفه مساعدة البعثة التنصيرية التي عمل معها، يقول في هذا الكتاب: (لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يشهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل نبي الإسلام محمد).

ويقول: (وباختصار، فإنه مهما ندرس حياة النبي ﷺ نجدها على الدوام عبارة عن كتلة فضائل مجسمة مع بقاء سريرة وخلق عظيم، وستبقى تلك الفضائل عديمة النظير على الإطلاق في جميع الأزمان، في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل) [الوحي المحمدي، (ص ١٠٥)].

ويقول في كتابه (حياة محمد ﷺ)، [ص ١٤]: (... ومن صفات محمد ﷺ الجليلة والجديرة بالذكر والحرية بالتنويه: الرقة والاحترام... فالسماحة والتواضع والرأفة

والرقة تغلغلت في نفسه، ورسخت محبته عند كل من حوله، وكان يكره أن يقول: لا...)، وعدد بعض أخلاقه، وذكر في صفحة (٨٠) من الكتاب المذكور: إن من عقيدة الإسلام، أن الإنسان أخو الإنسان، وأشاد بسماحته في عفوه عن ألد أعدائه يوم فتح مكة [حياة محمد، ص ٨٨].

نقل عنه راما كريشنار أو (ك.س): رئيس المجلس الهندي للبحوث والفلسفة، ورئيس قسم الفلسفة في جامعة (مايزوري) في الهند: (إن فحوى موضوعي هو الكتابة عن تاريخ الديانة، وعن الرسول الذي يعتبر شخصية تاريخية)، حتى أن السير وليام موير، الذي يعتبر ناقدًا عدائيًا، يقول عن القرآن الشريف ما يلي:

(ليس هناك على الأرجح من كتاب آخر استطاع الحفاظ على نقاء نصه على مدى (١٢) قرنًا، إن حياة النبي محمد وأعماله بتفاصيلها ليست غامضة، وهي باقية للأجيال القادمة، لقد تم تشويه صورة الإسلام لأسباب سياسية وغيرها).

٥٤- إدوارد مونته:

مستشرق فرنسي، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، قال في كتابه: (حاضر الإسلام ومستقبله): (أما محمد فكان كريم الأخلاق حسن العشرة...).

وقال في كتاب (محمد والقرآن)، [ص ٢٢]: (لقد منع محمد الذبائح البشرية، ووأد البنات، والخمر، والميسر، وكان لهذه الإصلاحات تأثير غير متناه في الخلق، بحيث يجب أن يعد محمد في صف أعاظم المحسنين للبشرية، وأن الانقياد لإرادة الله تتجلى في محمد والقرآن بقوة لا تعرفها النصرانية) [نفسه - محمد عند علماء الغرب (ص ٣٤٦- ٣٤٧)].

وقال: (...ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد ﷺ، وإن ما قام به من إصلاح وأخلاق وتطهير المجتمع، يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية).

وقال في كتابه (العرب): (... وبالجملة: كان محمد ﷺ أذكى وأدين وأرحم عرب عصره...).

٥٥- جوهان، دافيرميخائيلس:

لاهوتي ألماني شهير، ومستشرق.

أشاد في كتابه (العرب في آسيا) بإخلاص محمد ﷺ وعقيدته وصفات الكمال فيه.... وقال: (ولم نعرف عن دينه إلا ما يتلاءم مع العصور مهما تطورت... وحري بكل الشعوب أن تأخذ بتعاليمه). [محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٣٥٢)]

٥٦- د/ تيو دور نولدكه:

شيخ المستشرقين الألمان، يقول في كتابه: (تاريخ القرآن): (نزل القرآن على محمد نبي المسلمين، بل نبي العالم، لأنه جاء بدين عظيم، وشريعة كلها آداب وتعاليم، وحري بنا أن ننصف محمدًا في الحديث عنه، لأننا لم نقرأ عنه إلا صفات الكمال، فكان جديرًا بالتكريم).

وكرر اعترافه بصحة نبوة محمد ﷺ، مثل قوله: (لا بد لنا من الاعتراف بأن محمدًا كان في الحقيقة نبيًا...) [نفسه، ص ٣٤٥].

٥٧- مايكل هارت:

مستشرق أمريكي، صاحب الكتاب المشهور (المائة الخالدون)، الذي اختار فيه محمدًا ﷺ على رأس القائمة، وقال في تبريره: (إن اختياري لمحمد ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء... ولكن في اعتقادي أن محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي) [نفسه، ص ١٥٦].

٥٨- مونتغمري وات:

مستشرق بريطاني، من أشهر كتبه: (محمد في مكة)، و: (محمد في المدينة)، استنكر الطعن في محمد ﷺ من قبل إخوانه المستشرقين المتعصبين. [محمد في مكة، ص ٢٥].

وأشاد بأمانته وقوة عزيمته، إلى أن قال: (فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإرادة، ولم لم يضع ثقته في الله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلًا مهمًا في تاريخ الإنسانية، ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد ﷺ يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال أبناء آدم). [نفسه، محمد في مكة (ص ٥١٢)].

وأشاد بالعدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه، ورحمته لأهل الذمة.

٥٩- هربرت جورج ولز:

كاتب وأديب بريطاني. له (معالم تاريخ الإنسانية)، و: (موجز تاريخ العالم)، ومما قاله: (... إن ديانة محمد كان فيها روحًا حقيقية من العطف، والكرم، والإخاء، وعلو النفس، والمعاني التي يشغف بها أهل البادية). [شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي (ص ٣٩)].

ويقول: (إن محمدًا يستحق كل إعجابنا وتقديرنا كمصلح عظيم، بل ويستحق أيضًا لقب النبي، ولا يصغى إلى أقوال المغرضين وآراء المتعصبين، فإن محمدًا عظيم في دينه وفي شخصيته، ومن تحامل على محمد فقد جهله وغمطه حقه). [محمد عند علماء الغرب، ص ٣٧٠].

قال في (معالم تاريخ الإنسانية) [٣/ ٦٤٠- ٦٤١]، عن رسالة محمد ﷺ: (إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية...)، وقال: (محمد أعظم من أقام دولة العدل والتسامح).

٦٠- أدموند بيرك:

فيلسوف إنجليزي. يقول: (إن رسالة محمد إلهية، لم تسبق ولن تلحق). [محمد فهمي عبد الوهاب: محمد ﷺ رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه، (ص ٥٩)].

٦١- الجنرال آيزنهاور:

رئيس أسبق لأمريكا. قال في خطاب له بذكرى مرور عشـر سـنوات عـلى إنشـاء الأمم المتحدة: (إن محمدًا رسول العلم والحضارة). [نفسه، ص ٦٤].

٦٢- شبلي شميل:

النصراني، والطبيب، والعالم الطبيعي، والمصطلح الاجتماعي اللبناني الشهير: يقـول (إن محمدًا نبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- أكمل البشر من الغابرين والحاضرين، ولا يتصور مثله في الآتين).

نماذج لأقوال نصارى عرب منصفة :

لقـد أفتخـر شـعراء عـرب نصـارى بـالانتماء إلى حضـارة الإسـلام والإشـادة بشمائل الرسول ﷺ.

ولنقف قليلًا مع بعض هؤلاء الشعراء الذين منهم:

٦٣- مارون عبود: [انظر : محمد صلى الله عليه وسلم عند علماء الغرب، ص ٤٥٥]

شاعر وأديب كبير، ونقادة عنيف، كثير التصانيف، سمى ولده محمدًا، وعرف بـأبي محمد، كما سمى ابنته فاطمة، تقلد منصب رئيس الجامعة الوطنية في عالية (لبنـان)، لـه من قصيدة: (النبي محمد):

طَبعتْـكَ كـفُ الله سـيفَ أمـان ... كمـنَ الـرّدى في حـدِه للجـاني
العـدلُ قائمـهُ وفي إِفْرَنْـدِهِ ... سـورُ الهـدى نُزلّـت بسـحر بيـان
وعليـك أمـلى الله مـن آياتـه ... شـهبًا هـتكْنَ مـدارع البُهتـان
لـولا كتابـك مـا رأينـا معجـزًا ... في أمـةٍ مرصوصـة البنيـان
حملـت إلى الأقطـار مـن صـحرائها ... قـبسَ الهـدى ومطـارفَ العمـران
هـادٍ يُصـوَّر لي كـأنّ قَوامـه ... متجمـر مـن عنصـر الإيـمان
لـك في السـماء منصـةٌ قدسـيةٌ ... قامَـتْ عـلى التوحيـد والميـزان
مـا كنـتَ سـفاحا ولم تسـفك دمًـا ... إلا بحـق العـادل الـديان
لـو كنـتَ في قـوم تسـيغ عقـولهم ... وحيًـا لكنـت كـأودع الحمـلان
لـولا اعتـداؤهم عليـك وجـورهم ... مـا خضـت حربًـا طاعنًـا بسـنان

٦٤- إلياس نصل:

سوري، هاجر إلى البرازيل، له عدة دواوين، قال من قصيدة له في النبي ﷺ:

إني ذكرتـك يـا محمـد نـاشرًا روح الأخـوة في بنـي الإنسـان
يـامن يثـير حماسـتي بكمالـه عذرًا إذا شاهدت ضعف لساني
هـي باقـة تهـدى إليـك زهورهـا مـن خـير مـا يزهـو بـه بسـتاني

[من قصيدة بها (٨٣) بيتًا: محمد ﷺ عند علماء الغرب، (ص ٤٥٨-٤٥٩)]

٦٥- عبد الله يوركي حلاق:

السـوري، ومؤسـس مجلـة (الضـاد) الحلبيـة. يقـول عـن محمـد ﷺ في قصـيدته (قبس من الصحراء):

أمحمـد والمجـد نسـج يمينـه مجـدّت في تعليمـك الأديانـا
إني مسـيحي أجـل محمـدًا وأراه في سـفر العـلى عنوانـا
ولأنـه داس الجهالـة وانتضـى سـيف الجهـاد وحطـم الأوثانـا

٦٦- جاك صبري شماس:

الشاعر السوري، يقول في قصيدته (أوراق اعتمادي):

إني مسـيحي أجـل محمـدًا وأجـل ضـادًا مهـده الإسـلام
وأجل أصحاب الرسول وأهله حيـث الصـحابة صـفوة ومقـام
كحلت شعري بالعروبة والهوى ولأجـل طـه تفخـر الأقـلام
وأودعـت روحـي في هيـام محمـد دانـت لـه الأعـراب والأعجـام

[انظر -هداك الله- هذه النقول من مقال بقلم الشاعر جاك صبري شماس، بعنوان: (شخصية الرسول ﷺ في عيون الشعراء العرب النصارى)، منشور بمجلة: (منار الإسلام) الإماراتية، العدد (٣٦٣)، السنة (٣١) ربيع الأول ١٤١٦هـ/ أبريل-مايو ٢٠٠٥م، (ص ٦٦-٦٧)].

ونقول في الختام: إن خصائص الإسلام، التي هي خصائص نبيه محمد ﷺ، كانت وراء اعتناق أولئك الأعلام الإسلام أو الإشادة به ونبيه ﷺ من قبل من لم يسلم لأسباب يعلمها.

ويتضح لنا جليًا أن تناول السيرة النبوية تأليفًا وتدريسًا يجب أن ينطلق من خصيصة الشمولية للسيرة النبوية، وليس فقط الوقوف عند أحداث الغزوات والسرايا وإهمال الجوانب الأخرى للسيرة، كما جاءت في موسوعة: (نضرة النعيم...)، وفي مؤلفات، مثل: حقوق الإنسان، والإعجاز العلمي في السنة والسيرة النبوية، والقرآن الكريم، معجزة الرسول ﷺ العظمى. وقد تضمنت شهادات الأعلام الذين ذكرناهم كنماذج الإشادة بهذه الشمولية، مما يعني أن واجب الدعوة إلى الإسلام يقتضي تقديم الإسلام لكل البشرية بمن فيهم المسلمين وفق هذه الرؤية الشمولية المهمة جدًا، وهذا ما يحاول أن يقوم به مؤلف هذالكتاب، خلال مسيرته الأكاديمية والدعوية، بل تفرغ لها حاليًا. وكان هدفي من اختيار موضوع هذا الكتاب: تنبيه أساتذة السيرة إلى هذا الجانب.